قضايا ومفاهيم
و
أفكار إسلامية

ابليس في القران
و
الحديث

الدكتور محمد باقر حجتي

إبليس (Diable) : الشيطان (Satan) .

ألف ـ لفظة إبليس :

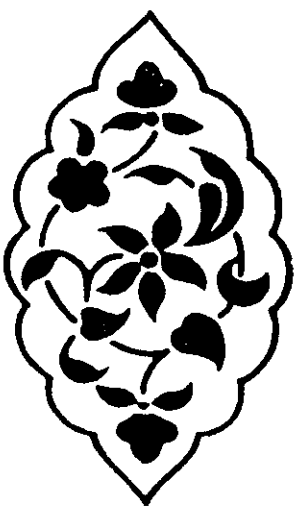

يرى عدد من علماء اللغة أن « إبليس » لفظةٌ أعجمية معرَّبة عن اللفظة اليونانية « ديابولوس ـ Diabolos » ، ويقولون : إن كلمة (Diable) الفرنسية وكلمة (Devil) الإنكليزية مأخوذتان من ذلك الجذر اليوناني . كما أن مؤلفي معاجم اللغة العربية وعدداً من المفسرين يرجِّحون أعجميتها ، أو أنها من الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية (انظر : القاموس المحيط : ٣١٣/١ ـ لسان العرب : ٢٥٦/١ ـ دائرة المعارف للبستاني : ٣٣٧/١ ـ روح المعاني : ٢٢٩/١ ـ وتفاسير أخرى ـ في ذيل تفسير الآية : ٣٤ من سورة البقرة) .

ويقولون إن لفظة «ديابولوس» تعني في اللغة اليونانية : النمّام والمفتري (لسان العرب ـ المصطلحات العلمية : ٦٩/٤ ـ دائرة المعارف للبستاني : ٣٣٧/١ ـ دانشنامه إيران وإسلام : ٣٧٨/٢ ـ أعلام القرآن : ٧٧) .

بينما ترى فئة أخرى من علماء اللغة والمفسرين ، أن لفظة « إبليس » عربية مشتقة من الإبلاس ، ومعناها : اليأس ، الضلال ، الدهشة ، السكوت ، الحزن ، و . . . ويوردون على ادعائهم هذا شواهد مختلفة . فإبليس يئس من رحمة الله ،

وفي النهاية تاه بسبب كبريائه واعتراهُ الخوفُ والحزن والصمت . قال تعالى :

﴿ ويومَ تقومُ الساعةُ يُبْلِسُ المجرمون ﴾ (الروم : ٢٠) .

كما ورد ذكره في الحديث :

« أعوذُ بك من شرِّ ما يبلسُ إبليسُ وجنودُه » .

« ألم ترَ الجنَّ وإبلاسَها ؟ » .

وكثيرة هي الأحاديث التي تدل على أن اسم إبليس مشتق من الإبلاس . كما أن كتّاب اللغة الذين يرجِّحون اشتقاقها من العربية كثيرون ، ويؤيدون ما ذهبوا إليه بشواهد عديدة (انظر مثالاً على ذلك : القاموس المحيط : ١/٣١٣ ـ مجمع البحرين : ٤/٥٤ ـ اللسان : ١/٢٥٦ ـ معاني الأخبار : ١٣٨ ـ مجمع البيان : ١/٨١ ـ البحار : ٦٠/٣٠٨ ـ الإتقان : ٤/٨٢ ـ سفينة البحار : ١/٩٩) .

ومع أن العلماء الذين يعدّون لفظة « إبليس » عربية ، يعتبرونها ممنوعة من الصرف ويقولون : إن سبب عدم انصرافها ربّما يرجع إلى استثقال حركة الجر في آخرها . وإضافة إلى ذلك ، فإن هذه اللفظة « إبليس » ليس لها نظير في العربية ، ولم يصدف أن تسمَّى بها أحد طوال الأزمنة الماضية ؛ وهذا ما دفع العرب إلى اعتبارها شبيهة بالأسماء الأعجمية ، واستخدموها بصيغة ما لا ينصرف (انظر المرجع الأخير ـ روح المعاني : ١/٢٢٩) .

وقد ورد ذكر لفظة إبليس مفردةً في القرآن الكريم إحدى عشرة مرةً ؛ تسعة مواضع منها متعلقة باستكبار إبليس وإبائه من السجود لآدم عليه السلام : ١ ـ البقرة : ٣٤ ، ٢ ـ الأعراف : ١١ ، ٣ و ٤ ـ الحجر : ٣١ و ٣٢ ، ٥ ـ الإسراء : ٦١ ، ٦ ـ الكهف : ٥٠ ، ٧ ـ طه : ١١٦ ، ٨ و ٩ ـ ص : ٧٤ و ٧٥ . في حين أن الموضعين الآخرين ، ١٠ ـ الشعراء : ٩٥ و ١١ ـ سبأ : ٢٠ ليس لمعانيهما علاقة بهذا الأمر .

كما ورد اسم إبليس في نهج البلاغة إحدى عشرة مرة ـ كعددها في القرآن ـ (الكاشف : ٤٩) .

ولم ترد كلمة « إبليس » بصيغة الجمع في القرآن الكريم مطلقاً ، إلا أن الأخبار والأحاديث وسائر الكتب استخدمتها بصيغة الجمع « أبالسة » (انظر : مصباح

المتهجّد : ٣٤٠ و ٣٤١ ـ البحار : ٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

يقول الميبدي : « . . . ومعنى إبليس : اليائس ، يعني : أبلس من رحمة الله » . وقبل أن يشتهر بهذا الإسم كان يدعى « عزازيل » . وقالوا : الحارث ، وكنيته « أبو كُردوس » (كشف الأسرار : ١/ ١٤٥) .

إن كلمة « أبالسة » جمع « إبليس » ومعناها « الشياطين » . ودعاه الكفعمي بأبي الجن وقال : للجن طائفة ذكور وطائفة إناث ، وهم يتوالدون ويموتون . ويذكر أن الأبالسة هم الشياطين ولا ينقسمون إلى ذكور وإناث ، ولا يتناسلون ، ولا يموتون ، وهم كإبليس مخلّدون في الدنيا ، في حين أن « الجانّ » أبو الأجنّة .

يعتقد بعضهم أن « الجن » مُسخ إلى « جان : ثعبان » ، كما أن « الإنس » مُسخوا إلى قردة وخنازير . ولقد خُلق إبليس والشياطين والأجنّة قبل خلق آدم بدليل قوله تعالى :

﴿ . . . أفتتّخذونَه وذُريتَه أولياءَ من دوني . . . ﴾ .

كما أن « جنود إبليس » وردت في القرآن الكريم ، وفُسرت بأنهم نسله وأبناؤه (مجمع البحرين : ٢/ ٥٤ و ٥٥ ـ مجمع البيان : ١/ ٨٢ ـ التبيان : ١/ ١٥٢ ـ الكافي (الأصول) الحديث : ١٥١٠) .

إبليس في كتب الأديان الأخرى :

وردت لفظة إبليس بصفة الجمع في الإنجيل في مواضع عدة ، نذكر فيما يلي مصادرنا : ففي رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس (الإصحاح ٣ ، عدد ١٥) ـ ورسالته الثانية (الإصحاح ٢ ، عدد ٣) والرسالة نفسها إلى تيتوس (الإصحاح ٢ ، عدد ٣) .

وقد وردت كلمة « إبليس » في الأصل اليوناني مجموعة ، متضمنة المعنى الوصفي للّفظ . كما جاء ذكر إبليس في الإنجيل في مواضع أخرى وكذلك في بعض الرسائل : بصفة شيطان ، والمذكور ، و « يهوذا » في إنجيل يوحنّا (الإصحاح ٦ ، عدد ٧٠) ، و « بطرس » في إنجيل متّى (الإصحاح ١٦ ، عدد ٢٣) . وسبب ذلك أن « يهوذا » ـ لمدة طويلة جداً ـ وبطرس ـ لمدة قصيرة نسبياً ـ كانا يقومان بأعمال

تشبه أعمال إبليس (دائرة معارف البستاني : ١/٣٣٧ و ٣٣٨ ـ أعلام القرآن : ٧٨ و ٧٩) .

إبليس في ثقافة اليهود والنصارى واليزيديين :

كنا ذكرنا سابقاً أن « إبليس » لفظة يونانية الأصل ، مهمته إيقاع الخلاف والخصومة بين الله والإنسان . فهو في نظر النصارى يقود الإنسان نحو طريق الطغيان ضد الله . وقد أفدنا من الحديث الذي أجراه إبليس مع حواء ؛ وهو ما جاء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين ؛ فقد ذكر أن إبليس دخل في جوف الثعبان ، وراح يخاطب حواء كذباً ومَيناً ، ويحثّها على تناول ثمار الشجرة التي نهاهما الله عنها ، وافترى عليها فقال : « لقد ظلمكِ الله ، إنه لا يهتم إلا بمصالحه ورغباته ، ولا يعبأ بمصالح مخلوقاته ؛ ولهذا حرمكما من أكل ثمار شجرة معرفة الخير والشر . وقال إبليس بلسان الثعبان : لن تموتا أن انتما (آدم وحواء) تناولتما هذه الثمرة ، وستبقيان خالدَينِ في الجنة . واللَّهُ يعلم أنه يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما [وتزداد قوتكما وتتوسع] وتكونان كالله عارفينِ الخيرَ والشرَّ » (دائرة معارف البستاني : ١/٣٣٨) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وإبليس في نظر اليهود والنصارى يتضمن معنى آخر ، إنه روح عمدة الشر ؛ فقد جاء في تعاليم آباء الكنيسة : إبليس رئيس العصيان ومُثيره بين الملائكة ، وهو كذلك عدو الله ، ومبدأ الجريمة ، ومُنشىء الفتن والعصيان .

وتستند المسيحية في هذا الأمر إلى آيات من كتابهم ، وترى أن إبليس سلطان هذا العالم ، وأنه صانع عالم عبادة الأوثان ، إلا أن المسيح حدَّ من شوكته ، وقلَّل من قدرته ، وأضعَفَ من جبروته ، وهكذا تمكنت المسيحية من التغلب عليه . ولإبليس المقام الأول بين السحرة ، لأنه ملك « الأرواح السفلية » عند المسيحيين وشعراء القرون الوسطى . ولقد نظم هؤلاء الشعراء منظومات خرافية حول إبليس ، ووضَّحوا بلوحات شعرية شكله وصفاته ، مَبْنية على أن إبليس موجود ، أسود البشرة ، ذو عينين ينبعث منهما لهيب النار ، وينشر في الفضاء رائحة الكبريت ، وذو قرنين ، وأظافر مَعْقوصة ، وحافر مشقوق .

[والروايات الإسلامية تصف إبليس ؛ بما يقرب هذه الأوصاف] .

المرحوم المجلسي الثاني ـ بعد أن يذكر حديثاً قصيراً حول سحنة إبليس وقيافته ـ يروي عن الإمام الصادق عليه السلام فيقول :

« لقد وجدتُ هذا الخبر في كتاب « غور الأعور » للترمذي مع شيء من التفصيل ، ويطيبُ لي هنا أن أبسطه عليكم . . . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كان إبليس يأتي إلى الأنبياء عليهم السلام وبحادثهم ـ من زمان نوح إلى زمان عيسى ـ غير أنه كان يلقى أنساً أكثر مع يحيى . وقد قدم على يحيى يوماً ، وحين أراد إبليس العودة قال له يحيى : أيا أبا مُرَّة ! إنني بحاجة إليك . قال له : قُل . قال يحيى : أريد أن تأتيني بشكلك وصفاتك . . . وجاءه إبليس في اليوم الثاني ، وظهر بشكله أمام يحيى ؛ بوجهه المقلوب والممسوخ . فبدت على وجه يحيى ملامح الدهشة إذ رآه بجسد كالخنزير ووجه كالقرد ، وعينين مشطورتين ، وفم عريض يصل إلى طرف رأسه ، وأسنان ملصوقة كأنها قطعة من العظم ، ليس له خدّان ولا فك ، وشعر رأسه قد استرسل إلى الخلف ، وذي أربع أيدٍ ؛ اثنتان على الكتفين وأخريان إلى الأمام ، وأصابعه تتجه إلى الخلف ، وركبتاه متقدِّمتان ، وله ست أصابع ، ووجهه بارز قطعة واحدة ، وتتجه مناخيره إلى الأعلى ، وله خرطوم يشبه مناقير الطيور ، ووجهه في قفاه ، ذو عين يسرى ، أعرج ، أحدب ، وله جناح على جسمه . يرتدي قميصاً وفي وسطه حزام كالمجوس ، قد عُلقت على أطرافه جرار صغيرة ، في يده جرس ، وعلى رأسه خوذة في أعلاها حديدة مستطيلة ومنحنية . . . [ولقد أطال المرحوم المجلسي الحديث حول مذاكرات إبليس ويحيى وفصَّل فيها] (انظر : دائرة معارف البستاني : ٣٣٨/١ ، ٣٣٩ ـ مجالس ابن الشيخ : ٢١٦ ـ الميزان : ٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ـ بحار الأنوار : ٢٢٤/٦٠ ـ ٢٣٣) .

أما اليزيديون[1] ، في الوقت الحاضر ، وهم المقيمون في مناطق : كردستان ، وأرمينية ، وفي قريتين حول « حلب » وتدعى إحداهما « جَلَمَة » . يبدو أن اليزيديين كانوا بادىء ذي بدء نصارى ، ثم دخلهم الإسلام ، وبعد ذلك دخلت عليهم عبادة إبليس . وعلى الرغم من هذه العبادة فإنهم يعتقدون أن إبليس سيسقط بعد صراعه مع الله كما يعتقدون أن الصلح سيقع بينهما ليعود إبليس إلى مقامه السامي . ويهتم اليزيديون ـ ويعتمدون ـ على إبليس في نهاية الحياة أكثر من الإعتماد على الأنبياء في الديانات الأخرى (دائرة معارف البستاني : ٣٣٨/١) .

أسماء وألقاب أخرى لإبليس :

١ ـ عَزازيلُ : يقولون إن اللفظة عبرية معناها : عزيز الله ، أو أنه اسم تَيس يرمي عليه الخاطئون ذنوبهم ، يرعى في وادي باير ليخفي ذنوب الناس في موضع لا يعرفه أحد ، وتنتهي أخطاؤهم في ذلك المكان المجهول . وكان هذا الإسم خاصاً به قبل أن تحلَّ عليه اللعنة .

٢ ـ الرجيم : لأن إبراهيم رجمه في منى ، أو لأن الملائكة رمته بالشهب السماوية .

٣ ـ ٨ ـ الحارث : أبو مُرَّة (أو أبو قِتْرة أو فِتْرة) ، أبو كُردوس ، أبو خلاف ، أبو دوجانه .

٩ ـ أبو لُبينَى : لأن لُبينى اسم ابنة إبليس .

١٠ و ١١ ـ نائل : أبو جان .

(انظر : اللسان : ١/٢٥٦ ـ قصص الأنبياء لابن كثير : ١/٤١ ـ كشف الأسرار : ١٢/١٤٥ ـ معاني الأخبار : ١٣٨ ـ البحار : ٦٠/١٩٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٥٥ ، ٣٠٨ ، ٣٣٧ ـ الإتقان : ٤/٨٢ ، ٨٣ ـ قاموس نفيسي : ٤/٢٣٦٤ ـ أعلام القرآن : ٧٨ ـ روح البيان : ١/٤٥ ـ روض الجنان : ١/١٦) .

وقد شرح أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة ـ ولا سيما في الخطبة التاسعة ـ ضمن حديثه عن المتكبرين الذين يتبعون إبليس أفعال إبليس والشيطان (نهج البلاغة ، محمد عبده : ٣/٢٢٨ و ٤/٢٤٠ ـ البحار : ٦٠/٢١٤ ـ ٢١٥) .

ب ـ لفظة الشيطان :

سندرس فيما يلي المواضع التي ورد في القرآن ذكر الشيطان مرادفاً لإبليس ، بشكل موجز . يميل بعض العلماء إلى أن لفظة « شيطان » مشتقة من الأصل « شَطَن » . والشطن : حبل طويل ومحكم ، يُستخرج الماء بواسطته من البئر بعد ربطه بظهور الدواب . وسكان البادية من العرب يقولون عن الحصان الذي لم يُروَّض بعد : « كأنه شيطان في أشطان » . ورُوي عن علي عليه السلام أنه تحدث عن الثعابين فقال : « إن الله عز وجل جعل الموتَ لأشطانها » . وقد استخدم عليه السلام الأشطان

(الحبال) على سبيل الإستعارة ، لأن الثعابين شبيهة بالحبال ذات الطول والإمتداد . وفي العربية « بئر شَطون » هي البئر العميقة القعر ، وفي هذا الإستعمال دلالة على بُعد قعر البئر . وقولهم « شطنت الدار » بُعدت . ويسمي العرب الثعبان ذا الذيل « شيطان » .

يُستفاد من هذه الدراسة الوجيزة أن « نون » شيطان أصلية ومن أصل الكلمة . ويطلق العرب في محاوراتهم لفظة الشيطان على كل موجود متمرد مهما كان جنسه ونوعه : الجن أو الإنس أو الحيوان .

ويُرجع بعض العلماء اللفظة « شيطان » إلى « شاطَ يشيطُ » بمعنى هلك وفني واحترق . ولكن لا يمكن الإطمئنان إلى هذا الرأي بشكل كامل (انظر : لسان العرب : ١/٣١٦ ، ٣١٧) .

وقد فسَّر بعض المفسرين الآية : ﴿ كأنه رؤوسُ الشياطين ﴾ (الصافات : ٦٥) بأنها أنوار (ج نَوَر) شجرة جهنم مثل رؤوس الثعابين ، لأن العرب ـ كما لاحظتُ ـ يسمون نوعاً من الثعابين بالشيطان .

وصفوة القول أن مفهوم « شَطَن وشيطان » الطول والإمتداد والبعد والخبث والتمرد والسوء ووجه الغضب ، والرقّة والغموض . وتنطبق هذه المعاني جميعاً تقريباً على الشيطان ؛ فهو : خبيث ، متمرد ، ذو وجه قبيح ، بعيد عن الخير والرحمة (اللسان : ٢/٣١٦ ، ٣١٧ ـ النهاية في غريب الحديث ـ مادة « شطن » ـ مجمع البيان : ١/١٨ ـ روض الجنان : ١/١٦) .

ويحتمل أن تكون لفظة « شيطان » عبرانية الأصل « هاشتيطن » ومعناها المخالفة والعداوة ، أو سريانية الأصل . ولقد اتصف إبليس بلفظة الشيطان بعد أن لعنه الله ، وكنا ذكرنا آنفاً أن اسمه قبل اللعن « عزازيل » و « نائل » . ولا بأس من الرجوع إلى كتب التفسير والحديث التي سنذكرها فيما يلي لمعرفة الألفاظ « إبليس ، شيطان ، جن ، مَلَك ، آدم » .

يقول الذين لا يعتقدون بالمجرَّدات : الأجنة أجسام هوائية أو نارية ، وهي قادرة على الظهور بأشكال مختلفة كالثعبان والعقرب والكلب والجمل والخروف والبغل والأرنب والطائر والإنسان . وهي ذكية وعاقلة ، وكثيرة التحمُّل ، وهذا ما

جعلها تقوم بالأعمال الضخمة في زمان سيدنا سليمان .

أما الذين يقولون بالمجردات فيعتقدون بأن الأجنة مجردات أرضية وسفلية ، لأن المجردات ـ أي الموجدات التي لا تحتاج إلى حيِّز ومكان ، ولا تحلُّ بمكان ، أو أنها أعلى وأعظم من أن يتدبر أمورها شيء ـ عبارة عن « الملائكة المقربون » ، ويدعوها المشّاؤون عقولاً ، والإشراقيون « الأنوار العالية القاهرة » ، أو أنها مرتبطة بتدبير الأجسام وتأثيرها ، ذلك أن المشّائين يعدّونها « النفوس السماوية » ، والإشراقيين « الأنوار المدبرة » . وإن أفضل الموجودات المجردة حَمَلة العرش ، وما زال عددها حتى الآن أربعة ، وسيبلغ عددها ثمانية يوم القيامة ، وآنئذ سيتحلق بعض الملائكة حول العرش ، وبعضها حول الكرسي ، وملائكة للسماوات ، وملائكة لكرة الأثير والهواء ـ وفي الطبيعة نسيم وثمار ـ وملائكة كرة الزمهرير ، وملائكة للبحار والجبال .

إن للأرواح السفلية التي تؤثر في الأجسام النباتية والحيوانية مرتبة متميزة في نظام خلقتها . ولبعض من هذه الأرواح السفلية نور وأعمال خيِّرة وهي أصلاً من أهل الخير ، وتدعى « الأجنة الصالحة » . وهي موجودات غير مرئية ، وتقوم بالأعمال اللائقة والمعتبرة .

وفئة أخرى من الأرواح السفلية سوداء مظلمة ، وسيئة وتقوم بالأعمال المُشينة . وهي عبارة عن الشياطين .

ويبدو أن الشياطين في القرآن والحديث هي نفسها إبليس وأعوانه وأنصاره . غير أن بعض الباحثين يعتقدون أن الشياطين هي كل موجود متمرد وعاص وضالّ عن الصراط المستقيم ، كما قال تعالى في الآية ١١٣ من سورة الأنعام : ﴿ **شياطين الإنسِ والجنِّ** ﴾ (روح البيان : ١/ ٤ و ٥ ـ أعلام القرآن : ٧٨) .

وقد ورد « الشيطان » في سبعين موضعاً بصيغة المفرد ، وثماني عشرة مرة بصيغة الجمع . وبشكل عام وردت ألفاظه في القرآن الكريم مائة وثمانين مرة . ومن هذه اللفظة ـ مرادفة لإبليس وبصيغة النكرة ـ تعددت الأوصاف « الرجيم ، المريد ، المارد » في سورة التكوير ، والنساء ، والصافات (المعجم المفهرس : ٣٨٢ و ٣٨٣ ـ أعلام القرآن : ٨٣ و ٨٤) .

أكان إبليس من جنس الملائكة ؟

تعارضت آراء المفسرين حول هذا الموضوع واختلفت :

أ ـ أدلة القائلين بوحدة الجنس بين إبليس والملائكة :

١ ـ يستفاد من دراسة الروايات المتعددة ، أن مقام إبليس مثل مقام الملائكة بل يفوقها . ويقولون : إن إبليس كان ـ قبل وقوعه في العصيان وتمرده ـ من جنس الملائكة ، ومن سكان الأرض ، ويفوق الملائكة جميعاً في المعرفة والإجتهاد ، وهذا هو سبب تعاليه وتكبره .

ويقولون ـ إضافة إلى ذلك ـ إن إبليس كان من فصيلة الجن ورئيس ملائكة الأرض . وتعتبر فصيلته من أكبر فصائل الملائكة وأكثرها سطوة . من ذلك أنه كان خازن الجنة إضافة إلى سلطته على السماء الدنيا والأرض ، وإليه أمر تدبير ما يلزمها . وهو ممن حظي بالأجنحة الأربعة ، مما يجعله ذا اقتدار في هذه السماوات . إلا أن مقام إبليس انحطّ في النهاية بعدتمرده، وحين أمر الله تعالى الملائكة أن تسجد لآدم اعتراه الإستكبار والخيلاء ، فحوّله الله إلى صورة شيطان رجيم مَريد (جامع البيان : ١/١٧٧ ـ الدر المنثور : ١/٥٠ ـ مجمع البيان : ١/٨٣ ـ التبيان للطوسي : ١/١٥٠ و ١٥١ ـ روح الجنان : ١/٨٨ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١/٣٩٤ ـ قصص القرآن : ٤١) .

٢ ـ دليل آخر على وحدة الجنس بين إبليس والملائكة : قال المفسرون من أمثال قتادة وابن عباس وغيرهما في تفسير الآية : ٣٤ من سورة البقرة : ﴿ **وإذ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ فسَجدوا إلا إبليسَ** ﴾ : كان إبليس واحداً من الملائكة ، وكان يطوف على الملائكة التي كانت تسكن الأرض والتي تدعى الجن . وكلام علي عليه السلام في نهج البلاغة : « ليدخل الجنة بشراً بأمرٍ أخرج به ملكاً . . . » مؤيد أن الملك أُخرج من الجنة ؛ ذلك أن ابن مسعود يروي كذلك أن إبليس كان مأموراً على السماوات ومن جملة الملائكة التي كانت تسمى جنّاً ، ويدل هذا الإسم على أن الجن كانوا خَزَنة الجنة . وكان إبليس ـ إضافة إلى كونه خازناً ـ يحكم السماء الدنيا .

وفي تفسير ابن عباس لقوله تعالى : ﴿ **إلا إبليس كان من الجن** ﴾ (الكهف :

٥٠) قال : ولهذا السبب كانوا يسمون الفردوس « جناناً » وهذا يدل على أن إبليس كان من طائفة الجن وخازناً . وقال أيضاً : لو لم يكن إبليس من جنس الملائكة لما أُمر بالسجود .

وجماعة أخرى من المفسرين ـ بعد ذكرهم هذا ـ أشاروا إلى أن محمد بن إسحاق كان يقول : الجن نوع من الموجودات المخفيَّة التي لا يمكن رؤيتها ، أما الآية ﴿ **إلا إبليس كان من الجن** ﴾ فمعناها : أليس إبليس من الجن والمخلوقات المخفية والتي لا يمكن رؤيتها ومن جملة الملائكة ؟ ذلك أن الملائكة أيضاً مخفية ولا يمكن رؤيتها ، وقد قال تعالى : ﴿ **وجَعلوا بينَه وبينَ الجِنةِ نسباً ولقد علمتِ الجنةُ انهم لمحضَرون** ﴾ (الصافات : ١٥٨) مبنيٌ على أن قريشاً كانت تقول : الملائكة بناتُ الله ، ويردُّ الله تعالى عليهم : ﴿ **أمِ اتَّخذَ ممّا يخلقُ بناتٍ وأصفاكم بالبنينَ** ﴾ (الزخرف : ١٦) ولو أن الملائكة بنات الله لكان إبليس من جنسها .

وفي الواقع فإن العرب لم يستخدموا لفظ الجن قط إلا للتعبير عن الموجودات المخفية . والله تعالى دعاها جنّاً لأنها مخفية وغير مرئية ، ودعا بني آدم إنساً لكونهم ظاهرين ، والجن مأخوذ من الإجتنان بمعنى الستر ، ولهذا دُعي الطفل في بطن أمه جنيناً . ولما كان الترس ساتراً ، ويختفي المحارب وراءه فقد أسموه « جُنَّة » . ولهذا يدعون الفردوس جنةً ، لأن أرضها مغطاة بالأشجار . ويعبِّرون كذلك عن فاقد العقل بالمجنون ، لأن عقله في حال الجنون مستتر لا يعمل .

فعلى هذا يمكننا أن نطلق لفظ الجن على الملائكة ـ بناء على المفهوم اللغوي ـ ولهذا يقول الطبرسي : للملائكة والجن حقيقة واحدة ، مع مراعاة أن المختارين ملائكة والأقل مرتبة جنّاً ، وهذا ينطبق على البشر ؛ ففئة منهم ممتازون وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وسائر النوع الإنساني أقل مقاماً .

في حواشي الأخبار وتفسير البيضاوي نرى : « وقسم من الملائكة غير معصومين . فمع أن العصمة غالبة على الملائكة ، ومع أن فئة من الناس معصومون فإن أكثرهم غير معصومين . ولعل صنفاً من الملائكة ـ وهي لا تختلف عن الشياطين أصلاً ، واختلافها في الأعراض والصفات . وإبليس من الفئة غير المعصومة وهو يحسب من الملائكة . صحيح أن المَلَك خلق من نور وإبليس من نار ، فإن النور

منبعث من جوهر الإشعاع والنار من هذا الجنس أيضاً . ومع كل هذا الإختلاف فإن ضياء النار وشعاعها ينجم عنهما سحاب داكن وملوَّث ، ويتجنّب المرء النار لحرارتها وخاصّية الإحراق التي فيها . وفي حال كان هذا الشعاع خالياً من التلوث ونقياً من الشوائب كان محض نور ليس غير . وإن أعيدت النار إلى حالها الأول نراها خامدة ولكن دخانها مؤذٍ .

يقول محمد رشيد رضا : « ليس بين أيدينا دليل يفصل بين جوهر الملائكة وجوهر الجن . فهما مخلوقان ممتازان ، ولكن الإختلاف بينهما ناجمٌ عن الإختلاف الوصفي ليس غير » . (انظر : جامع البيان : ١/١٧٨ ، ١٧٩ ـ التبيان للطوسي : ١/١٥٢ ـ ١٥٣ ـ التفسير الكبير : ١/٢١٣ ـ قصص الأنبياء لابن كثير : ١/٤١ ـ مجمع البيان : ١/٨٢ ـ الدر المنثور : ١/٥٠ ـ نهج البلاغة : ٢/١٦٢ ـ قاموس القرآن : ١/٢٢٧ ـ روح الجنان : ١/٨٧ ، ٨٨ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١/٢٩٤ ـ أنوار التنزيل : ١/١٤١ ـ البحار : ٦٠/١٧٨ و ٣٣٠ ـ المنار : ١/٢٥٦ و ٨/٣٢٨) .

٣ ـ ومن الأدلة الأخرى على جنس إبليس والملائكة سياقُ تعبير الآيات المربوطة بالتمرد والإستكبار الذي يتصف به إبليس . دلّ الله سبحانه ـ باستثناء أمره لإبليس والملائكة بالسجود لآدم ـ على أن أصلهما واحد ، بمعنى أن إبليس كان مأموراً هو والملائكة ، ندّاً لندٍّ ، بأن يسجد لآدم . ويحسنُ أن نشير هنا إلى أن أي استثناء لم يحصل عليه من بين زمرة الملائكة ، لكن الإستثناء حصل في الناحية الوصفية وهو أنه رفض أمر الله الصادر ، ورفض طاعته . فالإستثناء جاء من الوصفية وليس من أصله مع الملائكة .

ونصل في النهاية إلى هذه النتيجة : هي أن إبليس لو لم يكن من جنس الملائكة لما شمله أمر ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا** . . . ﴾ ولما نجم عنه الإباء والإستكبار . وبما أننا نعلم أن إبليس ـ بسبب تركه السجود ـ مستكبر ويستحق اللوم فإننا نستنتج أنه تغاضى عن أمر ربه . وإن شمول هذا الأمر نحو إبليس صحيح ويدل على أنه من جنس الملائكة . ولا بد لنا من أن نذكر أن هذا الإستثناء هو استثناء متصل مبني على أن هذا المستثنى هو من جنس المستثنى منه .

ب ـ أدلة المنكرين لوحدة الجنس بين إبليس والملائكة :

يقول الشيخ المفيدي : لم يكن إبليس من جنس الملائكة ، إنما هو من جنس الجن . والأخبار المتواترة عن الأئمة عليهم السلام تؤيد انعدام وحدة الجنس بينهما . ويؤيد علماء الشيعة هذه النقطة [ولدى علماء الشيعة عدد من الأدلة تثبت عدم وجود وحدة جنس بين إبليس والشيطان من جهة والملائكة من جهة أخرى] :

١ ـ ففي الآية : ٥٠ من سورة الكهف : ﴿ . . . **إلا إبليسَ كانَ من الجنِّ** . . . ﴾ دليل على أن إبليس من الجن . وفي الآية : ٢٧ من سورة الأنبياء : ﴿ **لا يسبقونَه بالقولِ وهُم بأمرهِ يعملون** ﴾ . وصفهم وعرَّف بهم . وظاهر هذه الآيات يدل على أن إبليس لم يكن من الملائكة (الميزان : ٢٢/٨) ،وقد قال الإمام الصادق : « ظنت الملائكة أن إبليس من جنسها ، لكن الله تعالى يعلم أنه غير ذلك » (الميزان : ٥٦/٨) . « لقد أمر الله الملائكة بالسجود ، فدخل إبليس ضمن دائرة هذا الأمر مع الملائكة ، لأن إبليس كان في معيَّة ملائكة الله في السماء يُظهر عبوديته ، وكانت الملائكة تظنُّ أنه من جنسها ، في حين أنه لم يكن كذلك . ولكن حين أصدر الله أمره بالسجود أظهر إبليس حسده الذي كان كامناً في قلبه غضباً وحمية . حينئذٍ أدركت الملائكة أن إبليس لم يكن من جنسها (البرهان للبحراني : ٧٦/١ و ٧٨ ـ الكافي (الروضة) : ١٤١/٨ ـ سفينة البحار : ٩٨/١ ـ الميزان ـ ١٥٥/١٢) .

ويقول جميل بن دراج : « سألت الإمام الصادق عليه السلام : أكان إبليس من الملائكة ؟ وأكان له تدبير محدد في السماء ؟ فأجاب : لم يكن من الملائكة ، ولم يكن له أي صفة في السماء ؛ لقد كان من الجن يطوف مع الملائكة » .

كما أن الإمام عليه السلام قال : [تختلف الجن عن الملائكة من ناحية الخلقة ، و] الجانُّ هي هذه الموجودات التي ذكرها الله في الآية : ٢٧ من سورة الحجر : ﴿ **والجانَّ خلقناه من قبلُ من نارِ السَّموم** ﴾ (البرهان للبحراني : ٤٧١/٢ ـ الكافي (الروضة ـ) : ٢٧٤/٨) .

ولهذا يقول مؤيِّدو هذه النظرية : إذا ذُكرت كلمة « الجن » بصورة مطلقة أو بدون قيدٍ إضافي ، لم تُعتبر إلا جنساً خاصاً بها كجنس الإنس والملائكة ، ليس غير

(التبيان للطوسي : ١٥٢/١ ـ مجمع البيان : ٨١/١ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٤/١) . فإن علمنا أن إبليس من جنس الجن لا بد لنا أن نعلم أيضاً أنه لم يكن من زمرة الملائكة ، لأن الله تعالى قال : ﴿ **ويومَ يَحشُرُهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبُدون . قالوا : سُبحانكَ أنتَ ولِيُّنا من دونهم بل كانوا يَعبُدون الجنَّ . . .** ﴾ (سبأ : ٤٠ ، ٤١) . تُبرز هاتان الآيتان التفاوتَ صريحاً بين « الجن » و « الملك » (التفسير الكبير : ٢١٣/١) .

وكان الحسن البصري يقول : « لم يكن إبليس ، حتى قدر غمضة عين ، من الملائكة قط » .

وكان شَهرُ بنُ حَوشَب يقول : كان إبليس من الجن . وحين عاثت الأجنَّة في الأرض فساداً أرسل الله عليها جيشاً من الملائكة ، فقاتلتها الملائكة وأبعدتها إلى جزر البحر النائية . وكان إبليس من جملة الأسرى ، فساقته الملائكة إلى السماء ، فمكث فيها . وفي ذلك الوقت أُمر بالسجود وامتنع . (الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٤/١ ـ قصص الأنبياء لابن كثير : ٤٠/١) .

سئل الإمام الصادق عليه السلام : كيف شمل الأمر بالسجود إبليس ، وكان المأمورون ملائكة وسجدوا [ولم يشمل إبليسَ هذا الأمرُ] قال : لقد كان إبليس مع الملائكة عن طريق الولاء وتحت الحماية ، لكنه لم يكن من جنسها . وهذا يثبت أن الله خلق مخلوقات قبل آدم ، وكان إبليس منهم وكان يحكم في الأرض . وفسدت هذه المخلوقات وتمردت وشُغلت بالقتل وسفك الدماء ، فأمر الله الملائكة أن توقف سفك الدماء والقتل ، فأسرت إبليسَ وقادته إلى السماء (البرهان للبحراني : ٧٦/١) .

جاء في بعض الروايات أن : « . . . إبليس حين أسرته الملائكة كان صغير السن ، فانشغل معها بالعبادة ، ولهذا شمله خطاب الله وأمره بالسجود [ولا شك أنه اعتبر واحداً منها من هذه الناحية] (مجمع البيان : ٨٣/١ ـ جامع البيان : ١٧٩/١ ـ تفسير القمي : ٣٢ ـ البحار : ٢٣٤/٦٠ و ٢٧٣ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٤/١) .

٢ ـ والدليل الثاني على عدم تكافؤ الجنسين وعلى تفاوت العنصرين ، أن إبليس

والملائكة خلقت من عنصرين ، ولا شك أن إبليس خُلق من نار ، يؤكد هذا حين أبدى احتجاجه إلى الله : ﴿ **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ (الأعراف : ١٢ ، ومواضع أخرى) . وكنا رأينا آنفاً أن إبليس من جنس الجن ، وذكر القرآن صراحة أن الله خلق الجن من النار ؛ قال تعالى : ﴿ **وخلق الجانَّ من مارجٍ من نار** ﴾ (الرحمن : ١٥) .

ونحن نعلم أن الملائكة لم تُخلق من نار ، بل خُلقت من نور أو روح أو ريح [وإبليس هو الشيطان نفسه] وخُلق الشيطان من نار (مجمع البيان : ١/٨٢ ـ التفسير الكبير : ١/٢١٤ ـ المعجم لفنسينك : ٣/١٢٨) . فعلى هذا يتضح لنا أن مبدأ خلق إبليس والملائكة ـ من جهة نظر القرآن والحديث ـ مختلف ومتمايز في أصله .

قال ابن أبي حاتم عن محمد بن عامر المكي : « خلق الله الملائكة من نور ، والجانَّ من نار ، والبهائم من ماء ، وآدم من تراب . وأقرَّ الله الطاعة في الملائكة والمعصية في الجن والإنس » (الدر المنثور : ١/٥١) .

والمشهور أن الملائكة مخلوقات روحانية لأنها خلقت من ريح أو روح . ولهذا عدَّت الملائكة صنفاً من الموجودات ، هذه الموجودات التي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع ، هي :

١ ـ الأخيار والمنتخبون ، وهم الملائكة .
٢ ـ الأشرار ، وهم الشياطين .
٣ ـ الأوساط ، والذين بينهم الأخيار وبينهم الأشرار وهم الجن بدليل الآية : ١٤ من سورة الجن ، في قوله تعالى : ﴿ **وأنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون** ﴾ . ويشكل إبليس والشياطين مع طائفة الجن هذا النوع المنحرف (انظر التفسير الكبير : ١/٢١٤ ـ المنار : ٨/٢٤١ و ٣٢٩) .

٣ ـ ودليل ثالث هو أن إبليس ذو نسل وذرية وأصل ، تتوالد مثله ومن جنسه . وكنا ذكرنا سابقاً ـ بناء على روايات متعددة ـ أنه يدعى أبا الجان ، كما أن آدم عليه السلام يدعى أبا الإنس أو أبا البشر . في حين أن الملائكة لا تتناسل : لا تأكل ولا تشرب شيئاً . (التبيان للطوسي : ١/١٥٢ ـ مجمع البيان : ١/٨٢) .

ودليل هذا الأمر أن هذا التوالد والتناسل يمكن أن يجري عن طريق لقاح جنس

الذكر مع جنس الأنثى ، في حين أن الملائكة ليس بينها مذكر ومؤنث ، لأن الله تعالى يقول عن الملائكة ردّاً على من اعتقدوا أن الملائكة إناث : ﴿ **وجعلوا الملائكةَ الذين هم عبادُ الرحمن إناثاً أشَهِدوا خلقَهم . . .** ﴾ (الزخرف : ١٩) .

وحين تنتفي الأنوثة عن الملائكة ينتفي النسل من بينها حتماً (التفسير الكبير : ٢١٤/١) .

٤ ـ يجب أن تعتبر عصمة الملائكة دليلاً آخر على إثبات اختلاف جنسها عن جنس إبليس بدليل قوله تعالى :

﴿ **لا يَعْصونَ اللَّهَ ما أَمَرهُم ويَفعلون ما يُؤمرون** ﴾ (التحريم : ٦) .

فالله تعالى نفى المعصية عن الملائكة نفياً قاطعاً . أما إبليس فلم يكن معصوماً ، بل إنه ليس له عمل ولا يصدر عنه عمل غير المعصية . إضافة إلى هذا فإن الله دعا الملائكة رُسلَه ؛ قال تعالى : ﴿ **جاعلِ الملائكةِ رُسُلاً أُولي أجنحةٍ** ﴾ (فاطر : ١) . ومعلوم أن الكفر والفسوق ليس لهما طريق إلى رسل الله . ولو أن الكفر والفسوق وجدا طريقهما نحوهم لتسرب إليهم الكذب ، [لكن من المسلَّم به أن الكذب غير وارد عندهم أصلاً ؛ وهذا الإبليس كان فيه ـ وما زال ـ عمل الفسق والكذب والكفر] (انظر مجمع البيان : ٨٢/١ ـ التفسير الكبير : ٢١٤/١) . فمحال على إبليس أن يكون ـ على هذا ـ من جنس الملائكة .

٥ ـ والإستثناء في ﴿ **فسجدوا إلا إبليسَ** ﴾ لا يعدُّ دليلاً قاطعاً على إثبات توافق جنسية إبليس مع جنسية الملائكة . وإنما استُثْني إبليس ـ من السجود لآدم ـ لأنه كان مع الملائكة . فهذا الإستثناء ـ كما أسلفنا على رأي بعض المفسرين ـ استثناء منقطع ، بمعنى أن المستثنى يختلف قطعاً عن جنس المستثنى منه . وهذا الإستثناء المذكور في الآية المزبورة شبيه بالإستثناء المنقطع في الآيتين المذكورتين :

﴿ **ما لهُم به مِن علمٍ إلا اتِّباعَ الظنِّ** ﴾ (النساء : ١٥٧) .

﴿ **فلا صَريخَ لهُم ولا هُم يُنْقَذون إلا رحمةً مِنّا . . .** ﴾ (يس : ٤٣ و ٤٤) .

وإن الأدلة الأربعة السابقة تؤيد نوع الإستثناء في مثل هذه الآية والذي هو منقطع (مجمع البيان : ٨٣/١ ـ التبيان للطوسي : ١٥١/١ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٤/١) .

ذريَّة إبليس وأبناؤه وعملهم

من دراستنا للروايات وتفاسير الآيات المتعلقة بإبليس ـ كما أسلفنا ـ نستنتج أن توالد إبليس وتناسله كان موضع التأييد . ولإبليس ذرية وأبناء ونسل ، وأسماء بعضها ذُكرت في الروايات بعدد من الصور :

١ ـ **اللاقِسُ والوَلَهانُ** : وهو المشرف على ماء الطهارة والوضوء ، ويُغري بكثرة باستعمالها . وقد جاء في بعض الأحاديث أن الإمام الصادق عليه السلام قال في معرض تقبيح المساحقة : « ستقتل ابنة إبليس اللاقس » .

٢ ـ **الهفاف** : الذي يحمي البوادي والصحاري ويُضلُّ الناسَ فيها ، ويقولون : إنه يُضلهم بشراب مُسكر .

٣ ـ **الزَّلَنْبور** : مأمور بالإشراف على الأسواق ، ويحضُّ الناس على الثرثرة واليمين الكاذبة وتحسين البضاعة لدى التجار ليُظهروا حسنات مبيعاتهم . إنه يرفع رايته في كل سوق بين السماء والأرض ، وترفرفُ على أول دكان تُفتح وآخر دكان تغلق .

٤ ـ **الثَّبْر** : مأمور على المصائب والأذى وتخريش الوجوه واللطم وتمزيق الثياب للمصابين والمنكوبين ، ويدعو الناس إلى الإقتتال والإفناء .

٥ ـ **الأعور** : يسعى إلى الزنا ، ويحثُّ عليه ، ويبعث القوة في فرجَي الرجل والمرأة . ويقولون : إنه يقف على أبواب السلاطين .

٦ ـ **الداسِم** : عمله هو أن الرجل حين يدخل على أهله ولا يسلم عليهم ولا يذكر اسم الله يدخل معه فيوغِرُ صدور الأهل على بعضهم بعضاً ويُحدث الشرور . وحينما يبدأ المرء بتناول طعامه ولا يذكر اسم الله يشاركه في طعامه .

٧ ـ **المطرش أو المشوِّط أو الوشوط** : وهو مأمور على الأخبار ، فيطعِّم هذه الأخبار بالكذب والبهتان وينشرها على ألسنة العامة ، وهي الأخبار التي لا أساس لها من الصحة ولا الحقيقة .

٨ ـ **لُبينَى** : وهو اسم ابنة إبليس ، ولهذا يكنى إبليس بأبي لبينى . وقد ذكر

السُّهيلي هذا الإسم في « الروض الأُنُف » . ويقولون لِلْبَيْنَى أيضاً « الطُّرطبة » .

ولا شك أن هناك أسماء أخرى لأبناء إبليس ، مثل : غيلان جمع غول (انظر : البحار : ٦٠/٢٦٨ و ٢٧٠ و ٣٠٦ و ٣٠٧ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٧/٤٢١ ـ الإتقان : ٤/٨٣ ـ سفينة البحار : ١/٩٩ و ١٠٠ ـ أعلام القرآن : ٧٨) .

جند إبليس وجيشه

ورد في القرآن الكريم التعبير ﴿ **جنود إبليس** ﴾ مرة واحدة فقط وذلك في قوله : ﴿ **فكُبكبوا فيها هم والغاوون وجنودُ إبليسَ أجمعون** ﴾ (الشعراء : ٩٤ و ٩٥) تشابهت ـ كما سيتضح ـ كتب التفاسير والحديث في مضامين شرح التعبير « جنود إبليس » ، وفيما يلي نماذج :

ـ ضمن رواية مفصلة للإمام الصادق عليه السلام نلاحظ أنه يعتبرهم أبناءه ونسله ـ وهم الشياطين ـ (الكافي (أصول ـ) : ٣/٤٦ ح ١٥١٠ ـ البرهان للبحراني : ٣/١٨٥ ـ مجمع البحرين : ٣/٢١) .

ـ جنود إبليس : أتباعه ـ وهم ابناؤه وأبناء آدم (مجمع البيان : ٧/١٩٤ ـ جامع البيان : ١٩/٥٥ ـ التبيان للطوسي : ٨/٣٦ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١٣/١١٩) .

ـ جنود إبليس : أتباع معصيته من الجن والإنس (روض الجنان ، تحقيق القمشه إي : ٧/٢٦٥ ـ التفسير الكبير : ٢٤/١٥٢ ـ روح المعاني : ١٩/١٠٣) .

ـ جنود إبليس : هم الذين علَّمهم إبليس عبادة الأوثان ، ولهذا يعدُّون أتباعه (الجامع لأحكام القرآن : ١٣/١١٩) .

ـ أمير المؤمنين عليه السلام يعرِّف الغضب بأنه واحد من جنود إبليس حين يقول : « احذر الغضب لأنه جندي من جنود إبليس وجيش عظيم من جيوشه » (نهج البلاغة : ٣/١٤٤) . وكذلك يقول : « اتخذوا التواضع سلاحاً لأعدائكم ، عدوُّكم إبليس وجنوده ؛ لأن لإبليس في كل أُمة جيوشاً وأتباعاً وجنوداً فرساناً وراجلين » (نهج البلاغة : ٢/١٦٥) .

ـ يقول العلامة الطباطبائي : جنود إبليس هم جلساء الشياطين وهم الذين ذكر

القرآن أنهم أشخاص من أهل الضلالة ، مأواهم النار » . قال تعالى :

﴿ ومَن يَعْشُ عن ذكرِ الرحمنِ نُقيِّضْ له شَيطاناً فهو لهُ قَرينٌ ﴾ (الزخرف : ٣٦) .

إلى قوله :

﴿ ولن يَنْفعَكُم اليومَ إذ ظَّلمتُم أنَّكم في العذابِ مُشتركون ﴾ (الزخرف : ٣٩) (الميزان : ١٥ : ٢٩٠) .

مجموعتان من جنود إبليس :

جاء في تفسير الكلبي رواية عن ابن عباس أن جنود إبليس فئتان : فئة تتَّجه نحو الناس ، وفئة تُرسَل نحو الجن . فعلى هذا فإن « شياطين الإنس والجن » هم أعداء رُسل الله والمؤمنين ، فشياطين الإنس والجن متفقة في كل الأوقات ، وكل واحد يقول للآخر إني جليسك وصديقك ، طعنت فلاناً وفلاناً طعنات ضالَّة . وإذ يسمع الآخر هذا الإغواء يقول : فعلى هذا عليّ أن أكون صديقك وتابعك لأتبعك في إغوائك . فالشياطين ، مثيرو الفتن ومبدعو الشر ، يعلمون بعضهم بعضاً ويلتقون على الضرّاء (مجمع البيان : ٤/٤٠٩ ـ البحار : ٦٠/١٤٩ و ١٧٦) .

ـ وعبر القرآن عن جنود إبليس أيضاً بلفظ « قبيل » . قال تعالى : ﴿ إنه يراكُم هو وقَبيلُه من حيثُ لا تَرَونَهم ﴾ (الأعراف : ٢٧) . وفسَّر الطبرسي « القبيل » بذرية إبليس وأبنائه أو جنوده وجيوشه وأتباعه أي الجن والشياطين . (انظر : مجمع البيان : ٤/٤٠٩ ـ البحار : ٦٠/١٥٦) .

ظهور إبليس بصور مختلفة

ذكر الأشاعرة والمعتزلة أدلة مختلفة على عدم ظهور الجن ، ومنها إبليس . ويُرجع الأشاعرة عدم إمكانية رؤية الجن إلى قصر قوة باصرة الإنسان (الرائي) ، بينما يرى المعتزلة أن عدم رؤيتها يعود إلى رقة أجسام الجن وشفافيَّتها (المرئيّ) .

يقول فخر الدين الرازي ـ بعد أن يستعرض الآراء حول تمثل الجن بصور مختلفة : « إذا كانت الجن قادرة على إيجاد أشكال مختلفة ـ طبقاً لرغبتها ـ فإن معرفة الناس لها ستتزلزلُ ؛ فقد نرى ذلك الشكل ونظنه ابناً لنا ، أو زوجة ، أو زوجاً ذلك

أن الموجود الجني يستطيع تغيير صورته بشكل ابني أو زوجتي . . . لذا فإن تبديل مظهر الجن بالصورة التي يحلو لها باعث على اضطراب الناس وجنونهم وهذا غير ميسَّر للجن تماماً ، ذلك أن اقتدار الجن أو إبليس محدود . ويؤيد هذا الكلام ما جاء في الآية : ﴿ **وما كانَ لي عليكم من سلطانٍ إلا أن دَعَوْتكم فاستجبْتُم لي . . .** ﴾ (إبراهيم : ٢٢) .

يقول مجاهد : « قال إبليس : أُعطيت لنا أربع خصال : أن نرى ، ولا يرانا أحد ، نخرج من تحت الأرض ، أعجازنا يعودون شباباً » (التفسير الكبير : ١٤/٥٤ ـ البحار : ٦٠/١٥٧ ، ١٥٨ نقلاً عن التفسير المذكور) .

على أن الروايات حول تمثل الجن بصور مختلفة كثيرة ؛ من ذلك قال جابر بن عبد الله الأنصاري : « ظهر إبليس بأربع صور :

١ ـ ظهر يوم بدر بصورة سُراقة بن جُعشُم المُدْلجي ، وكان يقول لقريش : ﴿ **لا غالب لكم اليوم من الناس . . .** ﴾ (الأنفال : ٤٨) أنا أحميكم ، أنا جارٌ لكم فاخرجوا . وحين خرجوا مُندَحرين قال : ﴿ **إني بريء منكم . . .** ﴾ .

٢ ـ وفي يوم العقبة ظهر بصورة منبه بن الحجاج وصاح : لقد وفدَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه على العقبة فاخرجوا عليهم . فقال محمد صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تخافوا منه لأن صوته لن يتجاوز نفسه » : [ولن يصل إلى آذان الآخرين] .

٣ ـ بينما كانت قريش مجتمعة في دار الندوة دخل إبليس عليهم في صورة شيخ من أهل نجد .

٤ ـ يوم توفي النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ظهر لهم بصورة المغيرة بن شعبة وقال : « لا تُعيدوا خلافة بني هاشم » (مجالس ابن الشيخ : ١١١ ، ١١٣ ـ البحار : ٦٠/٢٣٣ ، ٢٣٤ و ١٦٠ ـ الميزان : ٩/١٠٨ نقلاً عن البرهان للبحراني) .

عبادة إبليس قبل استكباره

يبدو من دراستنا لعدد من الأحاديث أن إبليس ـ قبل تمرُّده واستكباره عن السجود لآدم ـ كان يعبد الله :

ـ نـرى أن أمير المؤمنين عليه السلام يقـول في خطبتـه القاصعـة : « . . . اتَّعظوا بمـا فعله الله بـإبليس فقد أحبط الله عمله ومسعاه على مـدى الدهـر ، وهو الـذي عبد الله ستـة آلاف سنة ، ولا نعلم أكـانت هذه السِّنـون من سنوات الـدنيا أو الآخـرة » (نهج البلاغة : ٢/١٦٣ . وانظر كذلك البحار : ٦٠/٢١٤) .

ـ يكتب المرحوم المجلسي تـوضيحاً للروايـة التي ذكرهـا العياشي في تفسيـره حول تصوُّر المـلائكة أن إبليس من جنسهـا : « كانت المـلائكة تـظن أن إبليس ـ في طاعته وعدم معصيته ـ من جنسها ، لأنه كان مواظباً في عمله على عبادة ربه عبر زمـان طويل » (تفسير العياشي : ١/٣٤ ـ البحار : ٦٠/٢١٨ ، ٢١٩) .

ـ الإمام الصادق عليه السلام قال : « عبدَ إبليس ربه في السماء مـدة سبعة آلاف سنـة بـركعتين ، والله تعالى كـذلك منحـه مزايـا ـ في مقام مكـافأتـه على عبـادتـه ـ (علل الشرائع : ٢/٢١٣ ـ البحار : ٦٠/٢٤٠) .

ـ وسئل الإمام نفسه عليه السلام : « لماذا قال الله لإبليس : أدَعُك تضلُّ بني آدم إلى يوم الوقت المعلوم ؟ فأجاب : لسابقِ عمله الذي كوفيءَ عليه . فقال الراوي : ومـاذا كان هذا العمل ؟ قال : ركعتان عبدَ بهما الله عبرَ ألفي سنة أو أربعة آلاف سنة (تفسير القمي : ٣٥ ـ علل الشرائع : ٢/٢١٢ ـ البحار : ٦٠/٢٤٠ و ٢٧٥) .

يلاحظ أن رواية الحديث كانت سبعة آلاف سنة وهُنا حُددت بألفي سنة أو أربعة آلاف ، فيُظن وجود تعارضٍ بين الروايتين ظاهراً . يقـول المرحـوم المجلسي : هل أوجبتِ التَّقية وجود هذه المدة والتي هي أربعة آلاف سنة ؟ (البحار : ٦٠/٢٤٠) .

ونـرى من ناحيـة أخرى في نهـج البلاغـة أن مدة عبـادة إبليس تبلغ ستـة آلاف سنة . ربما أن كلمة « سبعة » في نهج البلاغة صُحفت وقرئت « ستة » . كما أننا نجد في بعض الـروايات أن سجـدة إبليس الواحـدة طالت مـدة أربعة آلاف سنـة (سفينـة البحار : ١/١٠٢) .

ومن إطلاعنا على هذه الروايات لا نستطيـع أن نقول أن إبليس كـان في الأصل كافراً ، ما لم نحسب عبادته هذه رياءً ، ذلك أن بعض الـروايات تؤكـد أن إبليس كان كافراً ومنافقاً في الأصل . وهذا ما يقودنا إلى البحث حول كفر إبليس ونفاقه .

أكان إبليس كافراً ومنافقاً في الأصل ؟

وهذا الموضوع أيضاً موضع خلاف بين العلماء :

* كان إبليس منافقاً وكافراً في أثناء عبادته وقبل استكباره : يورد مؤيدو هذه النظرية عدداً من الدلائل إثباتاً لما ذهبوا إليه :

١ ـ **المناظرة التي تمَّت بين إبليس والملائكة** : بعد الأمر بالسجود لآدم ـ وجواب الله تعالى بشأنها ـ تُثبت أن إبليس كان على كفر ونفاق . ذكر هذه المناظرة محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مطلع كتابه « الملل والنحل » نقلاً عن « أزماري » ـ شارح الأناجيل الأربعة ـ والذي استقاها من التوراة ، وأجراها بين إبليس والملائكة . راجع هذه المناظرة اللطيفة في (التفسير الكبير : ١/٢٣٦ و ٢٣٧ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١/٢٩٨ . ولإختلاف التعبير أنظر : الملل والنحل : ١/١٦ ـ ١٨) .

ومما يثبت أن إبليس ذو سابقة في الكفر قوله تعالى : ﴿ **وكان من الكافرين** ﴾ ، ومعناها الظاهري يؤيد كفره ونفاقه القديمين [ولم تكن عبادته إلا نوعاً من مجاراة الملائكة ، وخوفاً من أن يُفتضح أمره ، وهذا يؤيد نفاقه في أعماله] .

٢ ـ **دليل آخر على قدم كفرهِ ونفاقه** : هو مسألة الموافاة . والموافاة ـ هنا ـ أداء المرء حقَّه كاملاً ، وهذه تؤيد عمق كفر إبليس وقدم نفاقه .

يقول الفخر الرازي حول هذا الموضوع : « الإيمان يوجب الثواب الدائم ، والكفر يوجب العقاب الدائم ، والجمع بين الثواب الدائم والعقاب الدائم محال ؛ إذا آمن المرء متأخراً فسيقع في الكفر أو أنه يأتيه لكنه [يعني الثواب الدائم والعقاب الدائم] يظل الكفر يتبعه وهذا فرض مُحال . أو أن استحقاق العقاب ـ لكفره ـ يمحو استحقاق الثواب ، وهذا الفرض محال أيضاً لأن الإعتقاد بالإحباط باطل .

إن شرط الحصول على الإيمان هو أن الفرد لن يبقى كافراً أبداً ، لكن إذا انتهت حياة الإنسان وكان في آخر حياته على الكفر نستنتج أنه لم يكن مؤمناً . ونحن نعلم أن خاتمة عمل إبليس كانت كفراً ، فعلينا أن نقول إنه لم يتحلَّ بالإيمان قط (التبيان للطبرسي : ١/١٥٤ ـ التفسير الكبير : ١/٢٣٧ ـ مجمع البيان : ١/٨٣ ـ

أنوار التنزيل : ١٤٢/١ ـ روح المعاني : ٢٠٣/١ و ٢٣٢ ـ البحار : ٣٠٩/٦٠ ، ٣١٠) .

* توجيهات متعلقة بقدم إيمان إبليس قبل الأمر بالسجود لآدم :

النظرية الأخرى أن إبليس كان مؤمناً ثم انجرف إلى الكفر . ومؤيدو هذه النظرية يفسرون قوله تعالى : ﴿ **وكانَ منَ الكافرين** ﴾ ويُبدون آراء متعددة بهذا الصدد :

ألف : إن الله كان يعلم منذ الأزل أن إبليس سيتحول إلى كافر [بمعنى أن علمَ الله يحدِّد منذ بدء الخليقة أن إبليس سيغدو من زمرة الكافرين] .

باء : مع أن إبليس كان في وقت ما مؤمناً فإن هذا الإيمان كان مخلوطاً بالكفر . وبعد مضي هذا الزمان [وإن كان قصيراً] كان مناسباً أن يستخدم الفعل الماضي « كان » حول موضوع كفره (انظر المصادر السابقة مع صفحاتها) .

جيم : « كان » بمعنى « صار » ، بمعنى أن إبليس مع أنه كان مؤمناً فإنه غدا فيما بعدُ كافراً بسبب استكباره ، كقوله تعالى : ﴿ **وكان من المُغْرقين** ﴾ حول ابن نوح الذي لم يكن من الغرقى ، لكنه صار منهم حين رفض طاعة نوح (أنوار التنزيل : ١٤١/١ ، ١٤٢ ـ الكشاف : ٣٨٢/٣ ـ جامع البيان : ١٨١/١ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٨/١ ـ روح المعاني : ٢٢٩/١ و ٢٣١ ـ الكافي (أصول ـ) ح : ٢٥٤٨) .

دال : ﴿ **كان من الكافرين** ﴾ يعني أن الله سبَّب لإبليس الكفر باستكباره ليسلب منه إيمانه (الدر المنثور : ٥١/١) .

رأي الشيعة حول قدم كفر إبليس :

وقد ذهب علماء الشيعة إلى الرأي الأول ، وهو أن إبليس كان من الأساس كافراً انسجاماً مع ظاهر الآية المباركة ، لأن تأويل (كان) بـ (صار) خروج على الظاهر من دون دليل . كما أن لازم القول بإيمانه ثم كفره هو الإحباط وهو باطل عندنا . (فراجع روح الجنان ٨٨/١/٨٩ .

كيفية نفوذ إبليس في الإنسان

على حسب رأي من يعتقدون بجسمية إبليس والشياطين نقول : إن أجسامها لطيفة ورقيقة كي تتمكن من النفوذ في أعماق الأجرام المتراكمة . وإن روح حياة الإنسان جسم لطيف ، ولهذا يدخل في عمق بدن الإنسان . وكما أن النار تتسرب إلى الفحم ، وماء الورد يسري في ورق الورد ، وزيت السمسم في حب السمسم فإن الشيطان أيضاً يستطيع أن يشق طريقه في الإنسان . وهذا التوجيه أحد الأجوبة على كيفية نفوذ الشيطان في الإنسان . وكثيرة هي الروايات التي تؤيد هذا الرأي . (فراجع الدر المنثور : ١/ ٥١ ـ البرهان للبحراني : ١/ ٧٧ ـ وسفينة البحار : ١/ ١٠٠ ـ وانظر : البحار : ٦٠/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٣١ ـ البرهان للبحراني : ١/ ٧٧ ، ٧٨ ـ عرائس المجالس : ٤١ ـ المعجم المفهرس لفنسينگ : ٣/ ١٢٩ ـ الميزان : ٨/ ٦٢ و ٦٤ ـ دائرة معارف البستاني : ١/ ٣٣٩ ـ مفتاح كنوز السنة : ٩) .

كما أن الروايات التي تحكي قرائن نفوذ الشيطان ـ أنه خلق من نار والنار حمراء اللون ـ كثيرة بشكل عام . (فراجع الكافي : ٢/ ٣٠٤ و ٣٠٥ ـ الميزان : ٨/ ٦٤ [قسم الحديث الأول] ـ منية المريد ط بومباي : ١٥١ ـ البحار : ٦٠/ ٢٦٥ [مع تفاوت يسير] ـ كنز العمال : ٣/ ٥٢٣) .

وكنا ذكرنا أن لإبليس أعواناً ومساعدين من الجن والإنس يختلفون عنه من ناحية النوع . وإبليس يأمرهم كي يتدخّلوا ويتصرّفوا بالمسائل الدنيوية ، ويحوّلوا الحق إلى الباطل ، ويزيّنوا القبائح .

إبليس وأعوانه وأنصاره ينفذون في قلب الإنسان وبدنه وسائر حياته ـ كالأموال والأبناء وغير ذلك ـ ويتصرفون بهم بأشكال جماعية أو فردية ، بسرعة أو بتمهل ، بواسطة أو بدونها . أما الإنسان فإنه لا يحسُّ بوجودهم ولا نفوذهم ، بل إنه لا يحسُّ إلا بنفسه ، ولا يرى غير عمله . ويحاول إبليس وهو يتدخل بأعماله في ذات الإنسان ألا يُثيره ولا يشعره بوجوده ، حتى لا يُدرك أنه الذي يدفعه . والله تعالى بيَّن في القرآن الكريم أن إبليس من جنس الجن والجن خُلقت من نار . وكان حال إبليس في البدء مضطرباً [واضطر في النهاية إلى الفسق والتمرد] (الميزان : ٨/ ٤٤) .

يُستفاد من دراسات المفسرين والمحدثين حول إبليس أن ساحة عمل إبليس ونشاطه الإدراكُ الإنسانيُّ ، وسبيل عمله عواطفُ الإنسان وإحساساته الداخلية . وهذا الإبليس يُلقي الأوهام الجوفاء والأفكار الباطلة في نفس الإنسان : ﴿ **الوَسْواسِ الخنَّاسِ الذي يُوسْوِسُ في صُدورِ الناسِ** ﴾ (الناس : ٤ و ٥) .

ومع ذلك فإن الإنسان لا يتردد بأن هذه الأفكار والأوهام ـ والتي اسمها الوسواس ـ إنما هي بنت أفكاره هو من غير أن يكون موجود آخر يثير فيه مكامن هذه الأفكار وهذه الأوهام ويحرِّكها . ولو أنه أدرك تدخل الشياطين في أفكاره لاستقلَّ عنها ولما قبل بها أصلاً . وإن تصرفات إبليس في الإنسان طويلة العهد . ولا يتنافى إقدام الأنسان نفسه مع انتساب العمل إليه . بلى ، لو أن هذا التصرف والتدخل كان يجري بفعل إبليس في معرض تصرف الإنسان لما كنا نستطيع أن نقول إن هذا الإنسان قام بعمل كذا وكذا ، بمعنى أن عمل الإنسان أيضاً يضطرنا إلى رفض إسناده إليه (الميزان : ٨/٤١) .

مسائل إبليسيَّة تستحق الدراسة :

إذا كان الله تعالى يعرف إبليس ويدرك ماهيَّته ، فلماذا خلقه ؟ لماذا وضع الله إبليس بين الملائكة مع أنه لم يكن منها ؟ وإذا كان الله يعلم أن من طبع إبليس أن يتمرَّد فلماذا أمره بالسجود ؟ لماذا لم يجعل إبليسَ ينصاع إلى أمر السجود ؟ لماذا منحه كل هذه القدرة والنفوذ وسلطه على الإنسان ـ كجريان الدم في العروق ـ وجعل الإنسان ووجوده كله تحت تصرفه ؟ لماذا لم يفنهِ بعد إذ تمرَّد عليه وكفر بأمره ؟ لماذا يقوِّي الله إبليس بالجنود فرساناً ومشاة ؟ لماذا لم يقوِّ الله الإنسان بقوَى وإمدادات مثل جنود إبليس ؟ لماذا لم يخفِ الله عن إبليس أسرار خلق آدم وأبنائه حتى لا يوقعه بأحبُل أغوائه ؟ كيف دخل إبليس الجنة ؟ ومع أن الجنة مقدسة وطاهرة فكيف سهَّل تسرُّب الوسوسة والكذب إليها ؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي تقضُّ مضاجع الإنسان ويحتاج إلى جواب شافٍ بشأنها .

وفي الحقيقة إن المفسرين والمحدِّثين ذكروا مثل هذه المسائل في مؤلفاتهم . وبإمكان المرء أن يرجع إلى (الميزان : ٨/٣٧ ـ ٤٤٤) ليرى بحوثاً شيقة حولها .

الذين يعجز إبليس عن التدخل بشؤونهم :

قال الإمام الصادق عليه السلام : قال إبليس : لا أتمكن من التسلط على خمسة أنواع من الناس ، وفيما عدا ذلك الناس جميعاً في قبضتي ونفوذي . أما الذين أعجز عن التسلط عليهم والنفوذ إليهم فهم :

ـ الذي يتحلى بالنيَّة الصالحة ويتمسّك بالله ، ويتوكل عليه في كل شؤونه .
ـ الذي يُديم التسبيح وذكر الله ليلاً ونهاراً [والذي يُمضي أكثر ساعات يومه في التسبيح وتقديس الله ، ولا يغفل عنه] .
ـ من يختار الإيمان لنفسه كما يختاره لأخيه .
ـ من يصبر على المصيبة ـ التي تحلَّ به ـ فلا يشكو ولا يتألم .
ـ من يرضى بما قسمه له الله ، ولا يشتدُّ في طلب الدنيا ولا يتعلق بها ولا يهتم برزقه . (الخصال : ١/ ٢٨٥ ـ البحار : ٦٠/ ٢٤٨ نقلاً عن الكتاب نفسه ـ سفينة البحار : ١/ ١٠٠) .

مَتاع نفوذ إبليس والراغبون فيه :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

رأى عيسى إبليسَ ـ حين كان يحمل أطباقاً في طريقه وأحمالاً على ظهره ـ فسأله : ما هذه الأحمال ؟ فأجابه : بضاعة للتجارة أبحث عن مُشترٍ لها . فسأله : وما بضاعتك ؟ فقال : بعضها ظلم وجور . فسأله عيسى : ومن هم الذين يشترونها ؟ فقال : الملوك . وقال إبليس : وهذا تكبر وحسد وخيانة ومكر ، ومشترو هذه البضاعة : المزارعون ، والعلماء ، والتجار ، والنساء (سفينة البحار : ١/ ١٠٠) .

لماذا ترفض أعمال المنكوبين بإبليس عند الله :

روي عن الإمام الصادق أنه قال : قال إبليس لجنوده : عندما أستطيع أن أسيطر على ثلاثة أشياء في الإنسان فإنني لا أخاف بعدئذ من أعماله الحسنة ، لأن أعماله كلها ـ في هذه الحال ـ لاتُقبل عند الله : ١ ـ من كان عمله وسعيه كبيرين لكنه يشكُّ في تقدير الشكر . ٢ ـ من ينسى أخطاءه . ٣ ـ من يعشق الكبرياء ويتسلل العُجبُ إلى قلبه (الخصال : ١/ ١١٣) .

لماذا عمد إبليس إلى الشر بعد الإستكبار :

نذكر بادىء ذي بدء أننا لا نعرف مخلوقاً عُجن الشر والباطل في وجوده ، وأُجبر على الكفر ، وانغمس في الفسق مثل إبليس . وتدل الآية : ﴿ ففسَقَ عن أمرِ ربِّه ﴾ على أن إبليس دلَّ في اختياره الطاعة والعصيان على أنه من طائفة الجن ، وقسم من الجن مسلمون وقسم منحرفون متمردون كالناس ؛ بعضهم مؤمن وبعضهم كافر . وكنا ذكرنا قبلاً ـ بالإستناد إلى الآيات ـ هذا الأمر ، كما أن الروايات تؤيد طاعة إبليس في السابق (وإن كانت هذه الطاعة مربوطة بريائه ونفاقه) .

ونحن نعلم كذلك أن آدم وقع في المعصية حين تذوَّق الشجرة المنهيَّة ، وأن إبليس ارتكب المعصية حين تمرَّد واستكبر ورفض السجود لآدم . وعلى هذا فلا بد لنا من أن ندعو الإثنين عاصيينِ . لكن علينا أن نذكر أن بين عصيان آدم وتمرد إبليس فرقاً واختلافاً ؛ لأن آدم [وحواءَ] بعد عصيانهما وهبوطهما من الجنة ندما وتابا ، وقد قبل الله توبتهما (البقرة : ٣٧ ـ الأعراف : ٢٣) . في حين أن إبليس ـ ليس فقط أنه لم يتُبْ ـ بل جدَّ في تمرده وأعلن اعتراضه صراحة ، لهذا غدا دائماً ملعوناً مطروداً محروماً من رحمة ربه ، وحريصاً على الشر والباطل ، والإغواء والإضلال . ومآلُ ذرية إبليس ـ وهم الشياطين والأتباع والمساعدون ـ الضلال والشر والإنحراف والسوء . وبما أن ذرية آدم تابت في النهاية فإنها خُيرت بين الخير والشر ، والطاعة والمعصية . في حين أن الملائكة لم تُقدم على المعصية قط ، ولم يصدر عنها سوى الطاعة والعبادة .

أمور كان إبليس مؤسِّسها

١ ـ **الإستكبار** : وهي المعصية الأولى . فقد جاء في روايات عديدة أن « أول معصية نجمت من الذات وانبعثت من الكبر كانت على يد إبليس . وكان الإستكبار أول معصية على أمر الله [بعد خلق آدم] » (تفسير القمي : ٣٢ ـ البحار : ٢٧٤/٦٠ ـ الميزان : ٥٩/٨ ، ٦٠ نقلاً عن الكافي وتفسير القمي) .

٢ ـ **القياس** : روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعض الأئمة عليهم السلام أن إبليس كان أول من أبدى رأيه في أمر الدين وسار على قياسه (انظر المراجع تحت عنوان :

إبليس هو أول مؤسس للقياس الذي يأتي بعدُ) .

٣ ـ **الكفر** : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن « إبليس أول كافر وأول من رسَّخ الكفر » . كما روي هذا الكلام عن الإمام الصادق عليه السلام ، على أن الإمام زاد ووضح فقال : « لم يكن كفر إبليس شركاً ، لأنه لم يكن يعبد غير الله ، لكنه دعا الناس فيما بعد إلى الشرك ثم أشرك » (الكافي الأصول ـ) : ٣٨٤/٤ ـ البحار : ١٩٨/٦٠ ـ الميزان : ٥٩/٨ نقلاً عن تفسير العياشي) .

٤ ـ **اللواط** : سئل أمير المؤمنين عليه السلام حول اسم إبليس في السماء فقال : اسمه الحارث . كما أنهم سألوه عن أول من قام بعمل اللواط القبيح « عمل قوم لوط » فقال : كان إبليس ، وكان يقوم بنفسه بهذا العمل الشنيع . وروى الإمام عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : « حين أصدر الله أمره بهبوط آدم أهبط معه زوجه ، في حين أن إبليس لم يهبط معه زوج ، فكان أول اللوّاطين » (علل الشرائع : ٢٤٣/٢ و ٢٨١ و ٢٨٣ ـ عيون أخبار الرضا : ١٣٤ و ١٣٦ ـ البحار : ٢٤٦/٦٠ ، ٢٤٧) .

٥ ـ **السِّحاق** : روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : « . . . حين أدرك إبليس أن عمله [الإغواء باللواط] فشا بين الرجال اتجه نحو النساء وظهر لهنَّ بصورة امرأة وقال : أرِجالكنَّ يختلطون فيما بينهم [ملاعبة الجنس لجنسه] ؟ قلن : بلى ، رأيناهم ماذا يفعلون ، لقد نصحهم لوط عليه السلام وأوصاهم بتركه . فأغواهنَّ إبليس ليرتكبن هذه المعصية والتي هي السحاق فيما بينهنّ (الكافي : ٥٤٤/٥ ـ البحار : ٢٧٨/٦٠) .

٦ ـ ٨ ـ **البكاء والنحيب ، والغناء ، والإنشاد** : روى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إبليس أول من بكى ونحب ، وأول من غنّى ، وأول من أنشد » . وقال : « حين ذاق آدم من الشجرة المنهية صاح إبليس ، وحين هبط آدم غنى إبليس ، وحين وصل إلى الأرض بكى ونحب على نعم الجنة [أسفاً] التي فقدها » (تفسير العياشي : ٤٠/١ و ٢٧٦ ـ البحار : ١٩٩/٦٠ و ٢١٩) .

٩ ـ **الحسد** : روى جنادة بن أمية : « أول ذلة ومعصية عرفت كانت الحسد ، ذلك أن إبليس حين أمر بالسجود لآدم حسده ، وهذا الحسد معصية [كان الإستكبار أول معصية] » ، ولهذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام أن « . . . إبليس قال لنوح :

إيـاك والحسـدَ ، لأن الحسـد كـان دأبي . . . » [وسبَّب هبـوطي ولعني] (الـدر المنثور : ١/٥١ ـ الخصال : ١/٥٠ ـ البحار : ٦٠/٢٢٢ و ٢٨١) .

١٠ ـ **التعصُّب في غيـر محله** : قـال أميـر المؤمنين علي عليه السلام : « . . . كـانت الحميّة أمراً طارئاً على إبليس . . . ومعاداته لآدم من أصـل خلقته . فـإبليس عدو الله وزعيم المتعصبين وسلف المستكبرين . وإبليس واضع أساس العصبيّة . . . » . قال الإمام الصادق : « . . . كان الله يعلم أن إبليس لم يكن من الملائكـة ، ووضَّح هـذا حميَّته وعصبيته وغضبه التي كان يخفيها في نفسه . . . » (نهج البلاغـة : ٢/١٦٢ ـ الكافي : ٢/٣٠٨ ـ تفسير العياشي : ٢/٩ ـ البحار : ٦٠/٢٢٠ ، ٢٥٩) .

إبليس أول مؤسس للقياس

قال عيسى بن عبد الله القرشي : دخل أبو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام فقال له الإمام : « أُخبرتُ أنك تعمل القياس [في الدين وأحكامه] ؟ أجاب : نعم ، إنني أقيس . قال الإمام : لا تقسْ [في دين الله] لأن إبليس أول من قاس ، فقد قال [في سبب رفضـه السجـود وردّاً على أمـر الله بـالسجـود] : « خلقتَني من نـارٍ وخَلقتَـه من طينٍ » حيث إن إبليس بهذا الكلام قاس بين النار والطين والتراب . فلو قيسَت نورانية آدم بضياء النار لفاقَ نورُ آدم وصفاؤه . بمعنى أن إبليس كان يقيس الجوهر الذي خلق الله منـه آدم بالنـار ، وإن نور آدم وجـوهره أقـوى وأقدر من النـار (البرهـان : ٢/٤ ـ الكـافي (أصـول ـ) ح ١٧٦ ـ تفسيـر القمي : ٣٢ ـ الخصـال : ٢/٦١٥ ـ قصص الأنبياء لابن كثير : ١/٣٨ ـ الميزان : ٨/٥٩ ـ البحار : ٦٠/١٩٨ و ٣٧٣) .

كلام الإمام الصادق عليه السلام هذا مقتبس من حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومستلهم من قـوله : « أول من قـاس أمر الـدين برأيـه إبليس » . وبعد أن روى الإمـام الصادق حديثه قال : « إن قاس أحداً أمراً متعلقاً بالدين على حسب رأيه جعله الله يـوم القيامـة جليس إبليس لأنـه تعلم منه القيـاس » (الدر المنثـور : ٣/٧٢ ـ المنـار : ٨/٣٣١ ـ الميزان : ٨/٥٩) .

وورد في كتب التفسير والحديث وعن لسـان آخرين أيضـاً ما يـدل على شهرتـه فـراجع (المنـار : ٨/٣٣١ ـ قصص الأنبياء لابن كثيـر : ١/٣٩ ـ الجـامـع لأحكـام القرآن : ١/١٧١) .

جهل إبليس في هذا القياس وما يتبعه :

لقد وقع إبليس بقياسه بين النار والتراب والطين في عدة أمور كلها تدل على جهله ، هي :

ـ اعترض ـ في البدء ـ على أمر الله ، وهذا يعدُّ كفراً بلا شك [وجهل في أصل الكفر أيضاً] .

ـ اعتقد أن الله يأمره بما يطابق هواه ورغبته ورأيه الضعيف وهو القياس .

ـ استدلّ أن الله خلقه من مادّة ذات مزيَّة ، وهذا وحده كاف ليُظهر جهل إبليس :

ألف : لا يمكن إثبات أفضلية مادة على أخرى بالبرهان والقياس .

باء : إن بعض المواد والأشياء غالية وعلى حسب أصلها حقيرة وتافهة كالمسك الذي يستخرج من صرّة الغزال ، والماس الذي يستخرج من داخل الفحم .

جيم : خلقت الملائكة من النور في حين أن إبليس خلق من نار ذات لهب حارق وملوث بالدخان ، ومتصف بالإضطراب . والنور من غير شك أفضل من النار ، لأن النار مخلوط بالدخان والأذى .

فمع أن الملائكة خلقت من النور وهو العنصر الأفضل والأكثر اعتباراً فإنها امتثلت لأمر ربها بكل تواضع وسجدت ، في حين أن إبليس الذي خُلق من عنصر أقل قيمة ومؤذٍ ـ وأكثر تقديراً بوقوفه أمام آدم ـ كان يجدر به أن يمتثل لأمر الله ويسجد . إلا أن إبليس كان يستحق التوبيخ ﴿ **أَوْلى لكَ فأَوْلى** ﴾ .

ـ وإضافة إلى هذا نحن لا نستطيع أن نقبل أن النار أفضل من التراب والطين ، لأن جميع الموجودات الحية النباتي منها والحيواني على وجه الأرض ـ بواسطةٍ أو من غير واسطة ـ إنما خلقت من التراب ، في حين أن النار افتقدت هذه المزية .

غفل إبليس عن المزية التي منحها الله آدم حين خلقه بيده وقدرته ، وجهلَ أنه نفخ فيه من روحه ، وأنه خلق في آدم استعداداً علمياً وعملياً يفوق ما عند سائر المخلوقات . وهو حين أمر الملائكة بأن تسجد لآدم إنما منحها بذلك شرفاً وكرامة ، وهذا يعني أنه اعتبر آدم أفضلَ من الملائكة . ومما لا شك فيه أن عنصر خلق الملائكة أفضل من عنصر خلق إبليس ، وبالتالي هي أكثر طاعة من إبليس .

ويورد القرطبي أدلة أخرى على جهل قياس إبليس ووهَنه ويقول : قال الحكماء :

ـ إن في عنصر التراب والطين رزانة وهدوءاً ووقاراً وسكوناً ، لذا فإن آدم بعد أن عصى ربه تاب وتواضع وتضرع . وفي النار خفَّة وحدّة واضطراب وهذا ما جعل إبليس يثور ويتمرد ويستكبر .

ـ نرى في الأحاديث أن تراب الجنة من المسك الأذفر ، في حين أن الأخبار لم تذكر قط وجود نار في الجنة .

ـ عرَّف الله النار بأنها وسيلة للعذاب ، في حين أنه لم يذكر التراب أداة للتعذيب .

ـ التراب لا يحتاج إلى النار ، في حين أن النار محتاجة إلى مكان ، وهذا المكان من تراب .

لذا قال ابن عباس : كان أولى بإبليس أن يطيع من أن يقيس ، لكنه شغل بقياس الكلام ، فكان أول موجود قاس بحسب فكره .

ـ قال البيضاوي : إبليس واضع أساس الكبر والإستبداد والإعتماد على الرأي الشخصي .

ـ اقتبس الأغنياء الغارقون بالمجون والسرور القياسَ من إبليس ؛ فكما أن إبليس تباهى بأصله ومبدإ خلقه وفضَّل نفسه على آدم فإن المترفين يتباهَون بأموالهم وأولادهم ويُحسُّون بالكبرياء ويقولون : ﴿ **نحن أكثرُ أموالاً وأولاداً وما نحنُ بمعذّبين** ﴾ (انظر : مجمع البيان : ٢/٤٠٢ ـ المنار : ٨/٣٣٠ ـ ٣٣٢ ـ قصص الأنبياء لابن كثير : ١/٣٩ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٧/١٧١ ـ أنوار التنزيل : ٣/٤ ـ نهج البلاغة شرح محمد عبده : ٢/١٦٢ ، و ١٧٤ ، و ١٧٥) .

أعمال إبليس : الشيطان

نعلم أن الشيطان (والشياطين) في القرآن والحديث مرادف لإبليس (والأبالسة) . وقد ذكرت أعمال إبليس وحرفه في القرآن والحديث وبعض الكتب السماوية بأشكال مختلفة . ونذكر فيما يلي نماذج من هذه الأعمال مع بعض الآيات القرآنية مستنداً لما نذكر :

ـ العداء للإنسان : (البقرة : ١٦٨ ، الأنعام : ١٤٢ ، الأعراف : ٢٢ ، وآيات أخرى كثيرة ، وكلها تؤكد صراحةً عداوة إبليس والشيطان للإنسان .

ـ الإغراء نحو الأمور السيئة والقبيحة والكذب على الله (البقرة : ١٩٩ ، وغيرها) .

ـ إخافة أولياء الله (آل عمران : ١٥٩) .

ـ المواعيد الكاذبة والخادعة (النساء : ١٢٠ ، الإسراء : ٦٤ ، وغيرهما) .

ـ خلق العداء وإيجاد الضغينة بين الناس عن طريق الخمر والقمار (المائدة : ١٩) .

ـ الإستعداد لإيجاد العداوة ضد الأنبياء (الأنعام : ١١٢) .

ـ منع ذكر الله والصلاة (المائدة : ١٩) .

ـ إغواء آدم وبنيه والوسوسة بينهم لحرمانهم من السعادة والجنة (الأعراف : ٢٧ ، الأنفال : ٢٧ ، طه : ١٢٠ ، البقرة : ٣٦ ، وغيرها) .

ـ الخلف بالوعد (الأنفال : ٤٨ ، إبراهيم : ٢٢ ، الحشر : ١٦) .

ـ تزيين الأعمال السيئة والحث عليها (الأنفال : ٤٨ ، النحل : ٦٢ ، محمد : ٢٥) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ـ إيجاد النسيان لذكر الله (يوسف : ٣٢ ، المجادلة : ١٩) .

ـ الحث على الإسراف والتبذير (الإسراء : ٢٧) .

ـ اللواطة (انظر حديثنا عنها قبل صفحات) .

ـ تنمية الآمال المستحيلة في نفوس الناس (النساء : ١١٩) .

ـ إشغال الناس عن أوامر الله ودينه وخلق البلبلة في نفوسهم (النساء : ١١٩) .

ـ تعليم السحر للناس (البقرة : ١٠٢) .

ـ إطماع الناس للوقوع في الزلل (الفرقان : ٣٩) .

ـ مجالسة الذين نسوا الله (الزخرف : ٢٦) .

ـ تسليط أعوانه وتقويتهم (النحل : ١٠٠) .

ـ إرشاد الناس إلى عذاب جهنم (الحج : ٣ و ٤ ، فاطر : ٦) .

ـ العصيان لله (مريم : ٤٤) .

ـ الإستكبار (ص : ٧٤ ، وانظر ذيل هذا الموضوع قبل صفحات) .
ـ إثارة الفساد بين الناس (يوسف : ١٠٠ ، الإسراء : ٥٣ ، وآيات أخر) .
ـ مرافقة الكاذبين والخاطئين (الشعراء : ١١١ ، ١١٢) .
ـ الحسد (انظر ذيل هذا الموضوع قبل صفحات) .
ـ تزيين سوء الظن للناس (سبأ : ٢٠) .
ـ الغوص والبناء (ص ٤٠) : النزول في البحر لإستخراج الجواهر (البحار : ١٦٨/٦٠) .
ـ الصناعات والإختراعات العجيبة : صناعة المعابد ، ونحت التماثيل ، وصناعة القداح والقدور الثابتة (سبأ : ١٣) واختراع الحمّام ، والنورة ، وطواحين الماء ، والأمواس ، والصابون . . . (البحار : ١٨١/٦٠ . على أن بعضاً من هذه الحرف يقوم به الإنسان .
ـ العواصف من شتّى أطراف الإنسان (الأعراف : ١٧ و ١٨ ، الحجر : ١٣٨) .
ـ تعليم الوسوسة والتزيين بين بعضهم بعضاً (الأنعام : ١١٢) .
ـ الإختفاء بعد الظهور (الناس : ٤) وانظر : (البحار : ١٩٤/٦٠ ـ مجمع البيان : ٥٧٠/١٠) .
ـ انقباض النفس في أثناء ذكر الله وانشراحها في غير ذلك : الخناس على حسب بعض التفاسير (الناس : ٤) وانظر : (مجمع البيان : ٥٧١/١٠ ـ البحار : ١٩٤/٦٠) .
ـ استفزاز الناس بالصياح والهجوم بالأصحاب الفرسان والمشاة والمشاركة في الأموال والأولاد (الإسراء : ٦٤) .
ـ تعليم أعوانه الوسوسة والفساد لإيجاد الخصومة بين المؤمنين (الأنعام : ١٢١) .
ـ الإحتكاك بالإنسان والتأثير فيه ، وإيصاله إلى مرحلة الجنون في النهاية (البقرة : ٢٧٥) .

أحبُّ الأشياء إلى إبليس

يميل إبليس إلى كل ما هو قبيح ومرذول ، لكن قلبه متعلق بأمور معينة أكثر من

غيرها ، من ذلك :

١ ـ **اللواط والسحاق** : « سأل سيدنا سليمان الشيطان : ما الشيء المحبوب له أكثر ومبغوض عند الله أكثر ؟ أجاب : اختلاط الرجال بالرجال والنساء بالنساء . . . » (أعلام القرآن : ٨١) .

٢ ـ **موت الفقيه ورجل الدين** : قال الإمام الصادق عليه السلام : « لا أحبَّ ـ في نظر إبليس ـ من موتِ الفقيه » (الكافي ـ الأصول) ط الإسلامية : ١/ ٤٦ ـ منية المريد ، ط بومباي : ١٨٤ ـ سفينة البحار : ١/ ٩٩) .

٣ ـ **قهر المؤمنين وإبعاد بعضهم عن بعضهم الآخر** : روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام : « إبليس يكون سعيداً وراضياً ما دام المسلم بعيداً عن أخيه المسلم » .

٤ ـ **النساء أو نور عين إبليس** : في الحوار الذي جرى بين النبي يحيى وإبليس ، من ذلك ما قاله يحيى لإبليس : ما الشيء الذي يزيد من بريق عينيك ؟ قال : النساء ، لأنهن أُحْبُلي وشباك صيدي ؛ فحين يباشر الصالحون بأدعيتهم ، ويهاجمونني بأدعيتهم ألجأ إلى النساء ، فقلبي يُفعم بالسرور بشراكي [لأنني استطيع إغواء الرجال بهن وأجعلهم ينحرفون] (سفينة البحار : ١/ ١٠١) .

ما يؤلم إبليس جداً

كما أن هناك أموراً يريدها إبليس وتسعده ، فإن هناك أموراً تؤلمه وتقهره ، لكن بعض الأعمال الطيبة والمقبولة تؤلمه جداً . ومما يزعجه ويقلقه أكثر :

١ ـ **ذكر اسم الله = البسملة** : يرتجف إبليس من « بسم الله الرحمن الرحيم » ؛ قال الإمام الصادق عليه السلام : « حين مواقعة الرجل لزوجته يحضر الشيطان بينهما ، فإن ذكر الرجل اسم الله هرب الشيطان من مكانه . . . » . وقال أيضاً : « حين تجلس إلى الأرض لتتناول غداءك أو عشاءك قل بسم الله ، لأن الشيطان [حين تذكر اسم الله على لسانك] يقول لأصحابه : اخرجوا ، فليس لنا في الطعام ولا في النوم نصيب . . . » (تهذيب الأحكام : ٧/ ٤٠٧ ـ المحاسن : ٤٣٢ ـ البحار : ٦٠/ ٢٠٢ ، ٢٠٣) .

٢ ـ **السجدة وإطالتها** : جاء في الحديث أن الإمام عليه السلام قال : « أطل

سجدتك ، فلا شيء أقسى على إبليس وأصعب من رؤية ابن آدم في حال سجوده ، لأنه كان مأموراً بالسجود لآدم لكنه تمرَّد على أمر الله ، وهذا ابن آدم مأمور بالسجود ومنفذ لهذا الأمر وقد ظفر بالنجاة » .

٣ ـ **ذكر فضيلة أهل البيت في أثناء ذكر الله** : « إذا التقَى مؤمنان أو زار أحدهما الآخر وردَّدا على ألسنتهما ذكر الله وفضيلة أهل البيت عليهم السلام لا يجد إبليس مكاناً له بينهما ويسقط لحم وجهه ، وتعتريه قُشعريرة وترتعد أنفاسه حتى ليستنجدُ ويستغيث » (سفينة البحار : ١/ ٩٩) .

٤ ـ **وجود المصحف في المنزل أو تلاوته** : قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : « المنزل الذي يُتلى فيه القرآن ويُذكر فيه اسمُ الله تزداد بركته وتحضره الملائكة ، وتهجره الشياطين . . . » .

ويقول الإمام الباقر عليه السلام : « حينما أرى مصحفاً في المنزل فإنني أطمئن إلى أن الشيطان مطرود منه للبركة في هذا المصحف » . وكذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تلاوة القرآن تُبعد الشيطان » (الكافي : ٢/ ٤٤٦ ـ ثواب الأعمال : ٩٣ ـ مسند أحمد : ٢/ ٤٤٣ ـ سنن الدارمي : ك ٢٣ ب ١٤ ـ صحيح مسلم ك ٦ ح ٢١٢ « نقلاً عن مفتاح كنوز السنة : ٩ » ـ القرآن في أحاديث الرسول وأهل بيته : ٩٢ . وفي هذا الكتاب أيضاً نرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا أصعب ولا ألمَ لإبليس من قراءة القرآن من المصحف ») .

٥ ـ **الأذان للصلاة** : « إن إقامة الصلاة والأذان لها من الأمور التي تسطرد الشيطان » (مفتاح كنوز السنة : ٨ و ٣١) .

٦ ـ **الشهادة** : شهادة الإنسان في سبيل الله من الأمور العسيرة التي تُذهل إبليس . ولقد رُوي « أن رجلاً كان يلعن إبليس ألف مرة كل يوم ، وفي أحد الأيام جاءه آتٍ في أثناء نومه وأيقظه وقال له : انهضْ فالجدارُ يريد أن ينقضَّ . فقال : من أنتَ حتى تتألم لحالي ؟ أجابه : أنا إبليس . فقال له : مع أنني ألعنُك كل يوم ألف مرة تأتيني متألماً لحالي ؟ لماذا ؟ أجابه إبليس : لأنني علمتُ مقام الشهداء عند الله ، فخفتُ [بهدم الجدار عليك] أن تُعدَّ من زمرتهم وتبلغ مرتبة الشهداء العالية » (عرائس المجالس : ٤٣) ذلك أن المهدوم عليه ، والغريق ، وموت المرأة في حال المخاض يعتبرون بمنزلة الشهداء (سفينة البحار : ١/ ٧٢٠) .

٧ ـ **مصالحة المؤمنين بعضهم بعضاً** : قال الإمام الصادق عليه السلام : « . . . حين يلتقي أخوان مؤمنان ويجدِّدان المحبة بينهما ويصطلحان ترتجف ركبتا إبليس وينهار فلا يستطيع الإستقرار في مكانه وتتقطع مفاصله وعروقه فيصرخ : واويلتاه على حظي التعس ! » (الكافي : ٤٦ ـ منية المريد : ١٥٥) .

٨ ـ **الإحسان إلى مُحبي أهل البيت** عليهم السلام : قال الإمام الصادق لإسحاق بن عمار : يا أبا إسحاق ! احسنْ إلى محبِّيَّ ما استطعتَ ؛ فما أحسنَ مؤمن لمؤمن وأعانه إلا تخرَّش وجه إبليس وجُرح فؤاده (سفينة البحار : ١/١٠٠) .

موضوعات متفرقة حول إبليس :

حول إبليس وجذر شجرة العنب (بحار الأنوار ٦٠/٢١١ ، ٢١٢) . مناظرته مع الملائكة ، بحثاً مفصلاً (التفسير الكبير : ١/٢٣٦ ، ٢٣٧ ـ الميزان : ٨/٤٤) ـ حول كحل عين إبليس ، ونومه ، وسعوطه ودواء أنفه ، والكبر أو الغضب ، واللعوق ، والكذب (معاني الأخبار : ١٣٨ ، ١٣٩ ـ سفينة البحار : ١/٩٨) . مناظرة إبليس مع آدم ونوح والأنبياء الآخرين (البحار : ٦٠/٢٥٠ ، ٢٥١ ـ الميزان : ٨/٦٦) . البصرة : مهبط إبليس ، وهبوطه في أرض « آبله » ، وهبوط الحية في أصفهان ، والطاووس في بابل (نهج البلاغة : ٣/٢٠ ـ أعلام القرآن : ٨٤) . علل عداوة إبليس لآدم (الميزان : ٤/٢١٩ ، استفادة من التفسير الكبير) . أنينه وخواره (الخصال : ١/٢٣٦ ـ البحار : ٦٠/٤٤٦ ، ٤٤٧ ـ الميزان : ١/٣٤) حوار إبليس لفرعون في الحمام (عرائس المجالس : ٤٢ ـ دائرة المعارف للبستاني : ١/٣٣٩) . ماهية سجود الملائكة وإبليس لآدم : سجدة كرامة آدم (رَوح الجنان : ١/٨٧ ـ التفسير الكبير : ١/٢٣٢ و ٢٣٨ ـ التبيان للطوسي : ٧/٢١٤ ـ الميزان : ١/٢٢١ ـ ٢٢٤) . في تغطية الأواني وإغلاق باب البيت لمنع إبليس من الدخول (البحار : ٦٠/٢٠٤) . ضعف كيد الشيطان وإبليس (كتب التفسير حول الآية : ٧٦ من سورة النساء) . إبليس في الأدب الفارسي (أعلام القرآن : ٨٦ ـ ٨٩) .

---

(١) وانظر تفصيلاً عنهما في كتاب « اليزيديون واقعهم ومعتقداتهم » للدكتور محمد التونجي ، طبعة الكويت .